

بين التشكيل والكاريكاتور... الفن روح البناء والإعمار



عامر فؤاد عامر

إحياه للذكرى الثانية لانطلاق قناة تلاقي الفضائية، أقامت الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون معرضاً فنياً برعاية وزير الإعلام «عمران الزعبي». وقد جمع المعرض لوحات فنية لكل من الفنانين «ساند سلوم» و«نضال خليل»، وذلك في دار الأسد للثقافة والفنون في الفترة الممتدة من ٢٠ إلى ٢٣ أيار ٢٠١٥.

بين كاريكاتور وتشكيل

حملت لوحات المعرض لغةً مختلفة، وكانت بين التشكيل والكاريكاتور، فكان لكل منها صالته الخاصة، فالصاللة الأولى جمعت مجموعة من اللوحات التشكيلية التي تحمل إسقاطات من لون الواقع الذي يمر به الوطن، فتناثرت الألوان والخطوط لتصبغ اللوحات في مساري واحد يحمل حالة من التشتت والاندماج ضمن حدود اللوحة الواحدة أيضاً، وهذا الطابع الذي

تلمسه في معرض الدكتور «ساند سلوم» الذي قال في تصريح خاص له «الوطن» عن اختياره مجموعة اللوحات المعروضة في هذا المعرض بالتحديد: «إن معظم اللوحات التي رسمتها خلال العامين الماضيين كانت من هذا الاتجاه نفسه، واليوم وضعناها تحت عنوان (الفن روح البناء والإعمار)، وأنا أريد تقديم رسالة بأن الفن يستطيع بناء العلاقات الإنسانية، فالأشياء الجميلة التي بنتنا نقدها على مستوى العالم وليس فقط على مستوى سورية يمكن للفن فقط أن يعيدها إلى حياتنا، فذلك سترى في هذه اللوحات أشياء كثيرة مختلفة مخربة، فنحن في الفن نعيد بناءها وتركيبها لصناعة لوحة مختلفة وجديدة، وهذه الصناعة تحفنا على إعادة البناء من جديد».

لون مرتبط بفصول السنة

لزائر المعرض الفني أيًا كان رغبة في النظر للون الذي تتشكل منه اللوحة، وفي معرض الدكتور «ساند سلوم» ألوانٌ خاصة، ربما حملت نوعاً من الشحوب، لكنها بنيت بطريقة هادئة خدمت اتجاه المعرض بقوة، وعن ذلك يقول: «اللون



مختلف في مناطق من اللوحة عن مناطق أخرى منها، وهذا بسبب إنجازها عبر المراحل الزمنية التي رسمتها فيها، أي خلال سنتين، فقد مرنا بأربعة فصول في كل عام، وخلال سنتين كل منطقة في اللوحة أخذت لونها الخاص، بما أوجد تأثيراً على مناخ اللوحة، فمنها ما أنجز في فصل الصيف، وفي فترة الحر الشديد، وهناك أقسام أنجزت في فصل الشتاء، في فترة الثلج والبرد، ولهذا منعكس على اللوحة بكل تأكيد، إضافة إلى أنه في الأربعة فصول بقيت هناك أشياء مستمرة، صبغت الفترة بالمحمل، ربما كانت أشياء تخريبية، أو هدم، أو من هذه الزاوية العدمية التي تريد التخلص منها، فنحن نستشرف هذه العناصر ضمن هذه المناخات الطويلة وإعادة صياغتها وبنائها في صيغ جمالية جديدة».

خصوصية فن الكاريكاتور

في القسم الآخر من المعرض، وفي حالة مختلفة عن اللوحة التشكيلية ضمن القاعة الأولى التي خصصت للعرض، كانت لوحات متناثرة من الكاريكاتير الذي جمعها الفنان «نضال خليل»، تقدم من خلالها لغة نقدية بين سلب وإيجاب



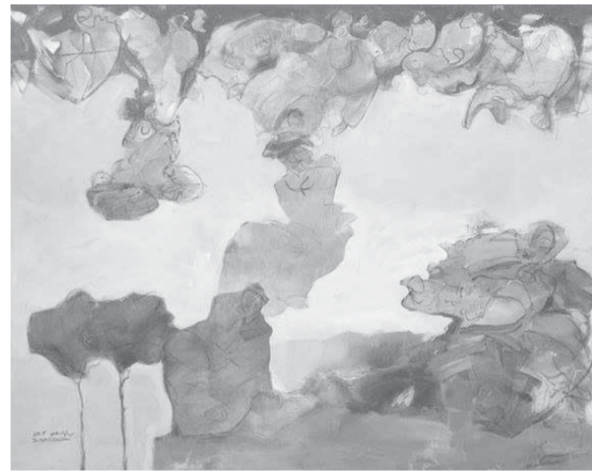
نضال خليل؛

ألوم من وظف الفن الكاريكاتوري في حالة من التأمل والاتجاه نحو الفلسفة

الشكل، وتعطي المتلقي مقدرة على الوقوف ومعرفة إلى أين هو سائر».

الفن الوظيفي

يرتبط الفن بالمزاج؛ فهو سبيله نحو الإبداع الحقيقي، ولكن عند ترسيخ الحالة الفنية بدور وظيفي روئيني؛ تقع في المواجهة؛ وحول هذه النقطة بالتحديد وعن كيفية أن تتجدد اللوحة حينها بين يدي الفنان، أجاب الفنان «نضال خليل»: «أشبه رسام الكاريكاتور برادار له قرون استشعار، يتوجه في كل الاتجاهات، وعلى مدار الساعة فعال، فيلتقط التفاصيل الدقيقة في الحياة ويرى ما بين السطور، وهذا يخلق الحالة المتجددة من العطاء أي لا يتم التكرار، أما الحالة المزاجية التي أشرت إليها فتخضع لاعتبارات معينة عندما تمارس بصورة ترفيحية، أما عندما تمارس وهي على التصاق بالهم اليومي المعيشي في الإنتاج المطلوب، فهي ستقدم كل يوم شيئاً جديداً، وأنا أسمى بقوة لتقديم هذا العطاء، وأنا ألوم البعض الذي وظف الفن الكاريكاتوري، فعملوه حالة من التأمل، والاتجاه نحو الجانب الفلسفي، وهذا مرفوض



ساند سلوم؛

الفن يستطيع بناء العلاقات الإنسانية

حضارة تدمر في عين الخطر

الإنسانية الكاملة الرابضة في قلب الصحراء

مها محفوض محمد

تدمر أو بالبراء ارتبط اسمها باسم مملكتها زنبوبيا التي بدت كأسطورة من الأساطير جعلت من مدينتها أجمل مدن الشرق القديم نافست روما في عظمتها ومكانتها لتبقى إرثاً حضارياً عظيماً تهاقت إليها الزائرون من شتى أنحاء العالم واستأثرت باهتمام علماء الآثار والباحثين المستشرقين والرسامين فهي على قائمة التراث العالمي لا يعادلها أي موقع أثري وهذا ما يبوخ به الزائر الغربي عند زيارته لتدمر وغيرها من المواقع السورية فقد سمعنا الكثير منهم يقول: تدمر شيء مختلف لها فرادتها عن باقي المواقع الأثرية لها سحر خاص يشعر به من زارها لأنه أمام حضارة عظيمة لا مثيل لها. لذا قد لا يكون هناك غرابة في انشغال وسائل الإعلام الغربي خاصة والمصاحفة المكتوبة لما يحدث في تدمر ودخول الإرهاب الداعشي إليها وإنما الأمر لافت جداً إن تكاد لم تبق صحيفة أوروبية تقريباً إلا وتناولت هذا الموضوع وقاربتها في ذلك الصحف الأميركية، الأمر الذي لم يحصل باستهداف داعش للمواقع السورية الأخرى وآثار الموصل في العراق وغيرها في تلك المنطقة وقد يكون لهذا الحراك الإعلامي دوافعه وغاياته لكن لا بد أن هناك أصواتاً تخشى حقيقة على المدينة الأثرية من الهمجية وتدعو إلى نق ناقوس الخطر من هؤلاء المؤرخ الفرنسي موريس سارتر المختص بتاريخ سورية القديمة حيث كتب إلى مجلة التاريخ الفرنسية مقالاً عنوانه: «تدمر في خطر».

يقول فيه: داعش تسيطر على مدينة تدمر الأثرية وتدمرها سيكون كارثة، نعم إن التهديد حقيقي وكبير فبعد الفديوهات التي تبثها داعش عن عمليات التدمير التي قامت بها في الموصل وبنين ونمرود وحترنا نحن أمام مواجهة مع مجموعات لا تمت للإنسانية بصلة أي هي لا تحمل الطابع الإنساني فكل القيم التي يعتمدها الغرب قيماً كونية عامة هي بالنسبة لهؤلاء مذمومة مرفوضة يجب محاربتها إنهم يسلكون الطريقة ذاتها التي كانت تسلكها النازية وخاصة سلوكهم تجاه النساء والأطفال بوحشية لا يمكن تصورها. هذه المجموعات الإرهابية بفكرها الظلامي والذهن الملبد بالمحاربة التماثلية التي تعتبرها أصناماً ومفهومها المجرى من أي معرفة بالتاريخ هي اليوم مستعدة أن تنسف أي تاريخ للإنسانية تعتبره خارجاً عن سياق الدين الذي تعتقد به، طبعاً هذه هي الواجهة التي يعتمدها رؤساء هذه التنظيمات الذين يديرون عمليات نهب الآثار ويقفون فن تحويل العملات بالسعر الأعلى للآثار التي ينهبونها، وأود التذكير أن الخبراء قدروا في العام ٢٠١٤ عائدات تهريب الآثار بمبلغ مئة وخمسين مليون دولار وهو المصدر الثالث لهم بعد البترول (٢ مليار دولار) فهؤلاء يدمرون كل شيء لقد رأينا في صور الأعمار

الصناعية كيف اختفت صروح كانت في حلب وخاصة في المنطقة المحيطة بالقلعة علينا ألا نستخف بالخطر الحادق فهو كبير أما الأخطر في تدمر فهو نهب المدافن وخاصة الموجودة تحت الأرض مع أنها مغلقة بأبواب ثقيلة من الحجر وجواز مشيئة إن كانت التماثلية التصفية التي تزيينها قد سرقت وبيعت في أنحاء مختلفة من العالم. إننا نتلقى بانتظام تقارير واضحة من مدير المتاحف السوري وأنا شخصياً خائف جداً على مدينة الرصافة وهي مدينة رائعة تعود إلى العهد البيزنطي (ملووءة بالكنائس) ليست بعيدة عن الرقة أي هي تحت التهديد المباشر لداعش فكثير من المواقع هناك لحق بها الأذى كما تظهر صور الأعمار الصناعية وخاصة في مواقع دورا أوروبوس وماري لكن ثمة مواقع لا يتم الحديث عنها أبداً أيضاً لا تعرف شيئاً عن المدن الميتة شمال سورية ومنذ أيام شاهدت فيديو تظهر فيه زمرة من النساء من جهة النصره مقنعات تماماً يتدربن على إطلاق النار بالرشاشات وهن بجانب أنقاض كنيسة سان سيمون. وعن سؤال لماذا استحوذت تدمر على كل هذا الاهتمام عن غيرها من المواقع يقول موريس سارتر: تستحوذ تدمر على الاهتمام الأكبر لأنها على الأرجح الموقع

الأثري الوحيد في سورية يعرفه العالم كله سواء ذهبوا إليه أم لم يذهبوا وأكثر من ذلك فإن تدمر موطن الخيال السوري وأروع من يمثل الماضي المجيد مع مملكتها زنبوبيا الأيقونة الوطنية، إذاً هو تراث غالي على السوريين وليس بالأمر السهل أن يمسه أحد كما لو أن أحداً يهاجم قصر فرساي في فرنسا أو قلعة مون سان ميشيل ولو أن ذلك يماثلها قليلاً. وبعيداً عن الأثر العاطفي فإن تدمر لها أهميتها الخاصة في نظر المؤرخين فستطيع القول إنها مثل مئات المواقع الأثرية السورية تمتلك تاريخاً وبقايا آثار تساهم إلى أقصى حد في فهم تاريخ سورية القديم ثم إن الأعمال الأخيرة كانت قد بدأت في إخراج بعض الآثار إلى النور وهي التي تمثل الحقيبة المتأخرة وخاصة ما تبقى من الإسلام والمسيحية فهناك ثلاث كنائس وأسواق تدل على العيش المسيحي الإسلامي فيها ومن جانبها وضحت البعثة السورية الألمانية أهمية الأحياء الجنوبية التي تعود إلى ثلاثة قرون قبل عصرنا هذا وما زالت عشرات الهكتارات لم يصلها التنقيب وما من شك أن اكتشافات مهمة سنجدها في التنقيب المستقبلي (تأمل ذلك). وكما هو معروف فإن تدمر حاضرة الإمبراطورية الرومانية كما أخذت طابع مظهر مدينة يونانية-

رومانية جميلة جداً فهي تحتفظ بمعالم فريدة من نوعها فضلاً عن نظامها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والديني والفني، هي مدينة جامعة لأجناس مختلفة فيها نصوص رسمية منقوشة باليوناني وكنظام أو منهج في القسم الشرقي أيضاً موجودة باللغة الآرامية التي كانت اللغة المحلية السورية كما تمتلك مدافن عظيمة وهذا يترجم تماماً السلطات المتعددة التي مارست حكمها مع آلهة من البلد كإله الواحة الكبير بيل ومعاونيه، وآلهة سورية وفينيقية وأشورية وبابلية وكلدانية وأيضاً يونانية (هيرقل). أيضاً لا بد من الحديث عن دور تدمر المهم في التبادل التجاري بين البحر الأبيض المتوسط وبلاد الشرق روما والتوابل والعطورات ولآلي الخليج العربي حيث كانت تدمر تنظم قوافل التجارة وتحميها «فقد أسندت إليها روما أن تحمي جيشها الذي كان بمنزلة الحرس الوطني في الصحراء مع جوانب حدود الإمبراطورية» وتجعلها تستفيد من المراتب التي تمتلكها في بلاد الرافدين وحتى الخليج، أما عملية البحث في مجتمع تلك المدينة فلا يقل إثارة عن غيره إذا ما تعرفنا بعمق على النخب الهلنيدية وارتباط ذلك المجتمع بتقاليد السامية

كما نفهم من قراءة هذه الآثار أن صاحب البيت كان يقوم بديكور منزله بالموزايك المشغول بأيدي فنانين جاؤوا من أنطاكية كما يذهب إلى اجتماعات المجلس مرتدياً ثوب قضاة وكأنه من وجهاء الرومان لقد رأينا ذلك على غطاء المهم الآن إنقاذ تدمر، علينا تجييش جميع القدرات وتحريك السياسيين- حيث الصمت يصم الأذان- لا أن نكتفي بكتابة المقالات وإصدار الكتب كما فعلت أنا وزوجتي حيث خصصنا كتاباً لزنبوبيا التاريخية ونقلنا إننا شهدنا بعض الأخطاء المرتكبة في روايات عن زنبوبيا تعتم على دورها التاريخي وهو دور عظيم لا يمكن فهمه من دون تحليل الأخطار التي تعرضت لها سورية في تلك الحقبة. إن الأسباب التي تدعونا للتحرك من أجل إنقاذ تدمر كثيرة وقوية فهي من أجل ممتلكات ثقافية تشكل ذاكرة شعوب قديم ذكرها ليست للشعب السوري فقط إنها جزء من ذاكرة الإنسانية جمعاء الرائدة هناك في رمال الصحراء وحين زيارة هذه الآثار يخلج قلب الزائر بشعور يعجز الوصف عنه وتمنحه ذكريات لا تنسى، فهل سنبقى ذاكرتنا وتاريخنا ومع مستقبلينا رهنا في أيدي هؤلاء القلعة؟